

السياسة العربية:

شراء وقت قليل مقابل تسليم مواقع استراتيجية كثيرة

ما الذي سيجري في العراق؟ وما الذي جرى في السودان؟ وما العلاقة بينهما وبين ما يجري في الأراضي الفلسطينية؟

لم يكن سرا أن الأمريكيين والإسرائيليين، وربما العالم كله باستثناء أصحاب الشأن الرسميين العرب، فتحوا خريطة المنطقة بأسرها ونظروا إليها نظرتهم إلى موضوع واحد ورقعة واحدة أمامهم.. يضع العسكريون فوقها في وزارات حربهم خطوطهم الحمراء والزرقاء.. ويضع الاستخباريون على الورق في غرف عملياتهم جواسيسهم ومحطات اتصالاتهم ويوزعون عملاء وحدات التنفيذ.. ويضع السياسيون في صالات اجتماعاتهم مخططاتهم وألاعيبهم وتقاريرهم.. دون أن يكون لخطوط الحدود الدولية التي رسمها سايكس وبيكو أي حساب جدي إزاء خطط الحرب العسكرية أو الاستخبارية أو السياسية التي تخترق الحدود وتستهدف المنطقة كلها بشعوبها وحدودها وأهاليها وعقيدتها (ونؤكد على استهداف عقيدتها أيضا لأن كلمات بوش منذ بداية الطريق لم تكن زلة لسان، بل كانت فكرة ثابتة، وكانت نوايا مبيتة تخمرت في عقل بوش الأب قبل أن يصبح بوش الابن من مريديها).

لم يكن الأمريكيون بحاجة إلى أحداث الحادي عشر من سبتمبر لكي ينتقلوا من مرحلة التصميم والتخطيط إلى مرحلة الهجوم المتسلسل الذي نعين مراحل التنفيذ هنا في فلسطين على شكل وصورة إعادة احتلال الضفة الغربية وحملات السحق والمحق الجارية في مدنها وقرائها وأريافها بكل ما توفر لإسرائيل من آلات الحرب والجواسيس والدعم السياسي الغربي، وهناك ضد العراق الذي تتهمك مصانع الأسلحة في الولايات المتحدة في تجهيز الأسلحة والمعدات الأفضع تأثيرا لاستخدامها ضده وينهمك الجيش الأمريكي في مناورات خاصة استعدادا للقفز عليه بينما ينهمك رجال السي أي إيه ووزارة الخارجية الأمريكية معا في إجراء الاتصالات مع الجوار وعقد المؤتمرات وفيركة الدعايات على السنة ما يدعونه المعارضة العراقية، ونعائنه بوضوح أقل هناك في مشاكوس حيث سافت الولايات المتحدة حكومة السودان بعيدا عن شقيقتيها مصر وليبيا وحشرتها أمام العميل الأمريكي - الإسرائيلي المزمع المدعو جون جارنج وهو إحدى الأدوات والصناعات الموكلة من قديم بمهمة تقسيم السودان وذلك بغرض حمل المسؤولين السودانيين على الإقرار بمبدأ التقسيم. أضف إلى ذلك ما نعائنه من إثارة موضوع مثلث حلايب الحدودي بين مصر والسودان ضغطا على القاهرة التي وقفت موقفها الطبيعي ضد ذلك التقسيم. وهذا كله عدا التهديدات الموجهة باجتياح سوريا ولبنان ويبدو أنها تجاوزت مجرد الإشارات الصحفية إلى المعلومات الاستخبارية فاستفزت الناطق السوري الذي صرح تصريحاً غير مسبوق مهددا بأن الهجوم على سوريا أو لبنان سيؤدي إلى إيقاع ملايين القتلى داخل إسرائيل. وأخيرا وليس آخرا عاينا الحصاة السعودية من هذا الهجوم الشامل على منطقتنا بما قرأناه في جرائد الأمس المباشر من اتهام قضائي رسمي أمريكي للأمير سلطان ابن سعود والأمير تركي بن سعود والأمير محمد بن فيصل بأنهم مسؤولون عن تمويل القاعدة وأسامة بن لادن(!!!)

ولم يكن المسؤولون العرب بحاجة إلى انتقال السياسة الأمريكية من مرحلة التخطيط والتدبير إلى مرحلة التنفيذ الهجومي الذي عاينوه لتوهم لكي يستنتجوا أنهم جميعا مطلوبون، وأنه إذا بدأ الهجوم على الثور الأبيض المدموغ بدمغة الثورية فسوف يتلوه الهجوم على الثور الأسود المدموغ بدمغة الأصولية والثور الأحمر المدموغ بدمغة الوسطية، وإذا حمل الهجوم في البداية طابع استهداف الأنظمة فسوف ينتقل سريعا إلى استهداف الأشخاص والعكس صحيح.

مفهوم لمن يفهم!

والأدلة سابقة وساطعة على جميع ما قلناه: ألم يكن واضحا منذ أواخر الثمانينيات أن العراق مستهدف وآية ذلك تلك الحملات الغربية الدعائية المنسقة التي جعلت من الحديث عن (المدفع العملاق) أسطورة ومسلسلا يلعب بخيالات المأخوذين بما يشاع وما تنشره وسائل الإعلام؟ بلى.. بلى.. كان مفهوما لمن يريد

أن يفهم أن المراجع المعادية للأمة تريد أن تقوم بعمل (وقائي) لإجهاض النهضة العلمية العسكرية والمدنية التي أرسى صدام حسين أسسها بإمكانيات العراق النفطية والزراعية والبشرية.

ثم: ألم يكن واضحا منذ أواخر الستينيات أن السودان مستهدف وآية ذلك ظهور ضابط سوداني جنوبي يلعب الخبث في عينيه يتمرد على قيادته وجيش بلاده ثم تنفخ المخابرات الإسرائيلية - الأمريكية في صورته وتطلق على اسم تمرده اسم الحركة الشعبية لتحرير السودان وترعاه وتطعمه وتسقيه وتستنزف به وبمواطنيه الجنوبيين والشماليين قدرات هذا البلد العربي الشاسع؟ بلى.. بلى.. كان مفهوما لمن يريد أن يفهم أن المراجع المعادية للأمة إنما تقوم بعمل (وقائي)، لإجهاض صيرورة السودان سلة غذاء العالم العربي وعمق العرب في وسط إفريقيا ولتهديد مجرى حياة مصر ونيلها المتجه إليها في الشمال.

ثم: ألم يكن واضحا منذ مطلع الثمانينيات أن مصر مستهدفة وآية ذلك استهداف السودان من ناحية واتجاه شركات المقاولات الإسرائيلية ورجال الموساد ورجال الدين الإسرائيليين إلى أقاليم وادي النيل ومنابع النيل وإقامة عشرات السدود في إثيوبيا وإريتريا لحجز مياه النيل جزئيا والتهديد بتعطيش مصر إذا هي لم تذعن سياسيا ومائيا وكذا تنشيط الاتصال بأوساط في تلك المناطق أسموها الفالاشا وادعوا أنها تنتمي للديانة اليهودية ومن هنا كسبوا ولاءها لإسرائيل ومخططاتها في منابع النيل؟ بلى.. بلى.. كان مفهوما لمن يريد أن يفهم أن المراجع المعادية للأمة استخدمت الألاعيب الإسرائيلية في قلب إفريقيا وفي منطقة لخدمة سياسة متعددة الأغراض ترمي إلى تطويق مصر من الجنوب وإلى التحكم في شريان حياتها المائي.

ثم ألم يكن واضحا منذ أواسط الستينيات أن لبنان مستهدف وآية ذلك مشاريع تحويل الأردن وامتداد أطماع إسرائيل إلى منابع الليطاني والوزاني والحاصباني التي ترغد الأردن بروافد الماء الغزير وقيام إسرائيل في وقت لاحق باستتجار ضابط لبناني برتبة ميجر اسمه سعد حداد ومن بعده ضابط برتبة كولونيل اسمه أنطوان لحد وإقامة دولة عميلة لإسرائيل في الجنوب لتقسيم لبنان واستنزافه واستنزاف سوريا معه؟ بلى.. بلى.. كان مفهوما لمن يريد أن يفهم أن المراجع المعادية للأمة لعبت بالورقة الطائفية في لبنان، وأنفقت مالا طائلا وافتعلت حمائم دم لكي تقضي على رفاه لبنان ومنافسته السياحية والزراعية ولكي تنشأ صدوع يستحيل رؤها وفجوات يستحيل ردمها بين الفلسطينيين واللبنانيين وبين المسلمين والمسيحيين. ولكي يسهل تهديد سوريا في خاصرتها بحكم الجغرافيا السياسية والعلاقات الوثيقة بين البلدين الشقيقين اللذين هما في الأصل بلد واحد.

ثم: ألم يكن واضحا منذ أوائل السبعينيات أن سوريا مستهدفة وآية استهدافها الحرب الاقتصادية الضروس التي شنتها دوائر المال الأمريكية الصهيونية ضد الليرة السورية فمسخت مكانتها من ثلاثة ليرات ونصف الليرة مقابل الدولار الواحد إلى خمسين ليرة أو يزيد مقابل الدولار وذلك خلال أقل من عشر سنوات؟ بلى.. بلى.. كان مفهوما لمن يريد أن يفهم أن المراجع المعادية للأمة وضعت سوريا على قائمتها السوداء قائمة الدول الداعمة للإرهاب والتي تتحمل الذنب الكبير بسبب كونها تنفق إنفاقا حسنا على التسليح وتدريب تلاميذ المدارس لديها تدريباً عسكرياً وتتزود بالصواريخ الكورية متوسطة المدى وتقف حجر عثرة في وجه السياسات الإسرائيلية ضد لبنان، وربما كانت على حد قول الإسرائيليين تخزن أسلحة بيولوجية وكيميائية.

بأي ثمن يشتررون الوقت:

من أجل ماذا ترسم الولايات المتحدة هذه السياسات العدائية ضد المنطقة؟ ومن أجل ماذا تنفذها بهذا الثبات وهذه الضراوة؟ الإجابة التقليدية على هذا السؤال هو أن المصالح الأمريكية تقتضي منطقياً إضعاف المنطقة والتحكم فيها من خلال تقطيعها واستنزافها وحرمانها من لئمة قواها وإعادة النظر في وضعها. ولكن الولايات المتحدة تعلم أن المنطقة ضعيفة فعلا بما فيه الكفاية، وأن المسؤولين فيها يعدون استنادهم إلى التحالف مع الولايات المتحدة ضماناً لهم من نواح عديدة. وهنا يجب أن نتذكر أن الولايات المتحدة تستمد وحي سياساتها الشرق - أوسطية من اللوبي الصهيوني الذي يستمد وحيه من مصلحة إسرائيل التي يحكمها اليوم اليمين الإسرائيلي الأشد حقدا والأعنف عداً ضد العرب. وأبلغ تعبير يلخص هذه العبارة ما قاله أحد الوزراء الليكوديين في إسرائيل تعليقا على خطاب الرئيس بوش الذي ألقاه بعد قيام الدبابات الإسرائيلية بإعادة احتلال الضفة الغربية وقال فيه إن إسرائيل تملك الحق في الدفاع عن نفسها، وعند ذلك

علق الوزير الليكودي بقوله: لقد كسبنا عضوا في اللجنة المركزية لحزب الليكود!

لا يجهل العرب هذه الأمور. فكل من أقلت به القدم ذات يوم إلى الغرب أحس وعرف وفهم وجرب وأيقن أن اللوبي الصهيوني يلوي عنق أوروبا وأمريكا عن الحقيقة ويملي عليهم مفردات مواقفهم ضد العرب والمسلمين (في البداية ضد العرب، فلما قامت الصحوة الإسلامية وبدت مرشحة لتوحيد الأمة صارت المواقف ضد الإسلام أيضا).

فما الذي فعله أصحاب القرار بعد ما وصل العلم إليهم وشاع بين شعوبهم وتشبعت به العقول واستفزت به المشاعر؟

لقد استمروا على تجاهلهم حقيقة الترابط بين ما يجري في فلسطين وما يجري في أي بلد عربي أو إسلامي آخر. وقد تظاهروا تارة بأنهم لا يعرفون وتارة بأنهم لا يصدقون وتارة بأنهم غير قادرين على فعل شيء. وهم عموما ذهبوا إلى الغرب يطلبون منه أن ينفي قولاً ما يرتكبه فعلاً وإجراماً، وأرادوا أن تتلقى أسماعهم تكذيباً لما تراه عيونهم وتلمسه حواسهم! ولكن الخطر كان يطرقهم ويدق عليهم أبواب مخادعهم، فيعودون إلى طلب التطمينات الكاذبة الحلوة كأنهم يشترتون وقتاً إضافياً قبل أن تقع الواقعة. وها نحن نرى بعد الهجمات والضغوط السياسية والعسكرية الشاملة أن الوقت الذي اشتروه قليل وأن ثمنه فادح، خاصة أنه لم يكفل كراسيهم ولم يبرهن أنه ضمان لبقائهم وبقاء أنظمتهم.

بأي ثمن اشتروا ذلك الوقت؟ بدمار جنين، وبتحطيم نابلس، وبتدنيس الأقصى والمهد.. وبالنزيف الهائل للدم في الجزائر، وبالحصار المهلك والغارات الجوية الدائمة في العراق، وبتأسيس دولة أمريكية - إسرائيلية في جنوب السودان، وبالتطويق السياسي والضغط المعنوي ضد مفاعل إيران ذي الأغراض السلمية، وبحرب الحقد والسعار والجنون في أفغانستان، وبوضع القنبلة الذرية الباكستانية على فوهة بركان النزاعات الطائفية داخل البلاد وتجميد القنبلة وأهلها في مواجهة الصراع الضاري مع الهند... وقبل ذلك وبعده أيضاً: بزعة الثقة واستحالة التعايش بين الحاكم والمحكوم وبيعاق المنطقة عما قريب في حمى حروب أهلية وفوضى تنهياً لها الأسباب سبباً بعد سبب.

والحل؟ ما الحل؟ هل هناك من يجهل الحل؟

أليس هو الولايات المتحدة العربية، أو الإسلامية، كما هو الحال في الولايات المتحدة الأمريكية. فإذا كان ذلك صعباً فالإتحاد العربي أو الإسلامي كما هو الحال في الإتحاد الأوروبي. وإذا كان ذلك متعذراً فلنحفر للأمة قبراً واسعاً بما فيه الكفاية أو لنجهز لكل نفر بردعة يتدرب على وضعها فوق ظهره منذ الآن، فهذا مستقبل الذين لا يعقلون!

مروان البرغوثي: همه أن يقول كلمته ويظل وجهها لشعبه:

أطلعوه في محكمة تل أبيب. ووقف كالفهد بين أيدي حراسه.. دفعوه وأبعدوه خارج القاعة مرة، فلما أعادوه أعاد الكرة، ورفع الصوت منادياً لفلسطين بالاستقلال ولشعبها الذي انتمى على الرسالة بالسلام وبالعدل. كان همه بعد هذا الاحتجاج الإجباري أن يقول كلمته ويعلن موقفه ويظل وجهاً لشعبه ومدافعاً عن حقه.

مروان البرغوثي همه عالية وروح قوية وأحلام نبيلة. نعتز بزمالكته في المجلس التشريعي الفلسطيني ونستعيد وقاتته بإكباركم مروان لدينا؟

كنت أرى في الجلسة التي افتتحت الدورة الأخيرة من دورات المجلس التشريعي ترشيح مروان لرئاسة المجلس لتدب فيه بعض الروح الانتفاضية. ولكن القاعدة عندنا هي أن القديم يبقى على قدمه وأنه ليس في الإمكان أبدع مما كان وأن اللاعبين الذين خبروا أسرار اللعبة سيظلون في مراكزهم إلى النهاية. أية نهاية؟

عاجلاً أو آجلاً سيطلق سراح مروان لأن السجن لم يشيد فوق مسجون كما يقول الفلسطينيون. ولكن: هل يكون ذلك قريباً أو بعيداً؟

إذا كان قريبا فلن يكون إلا ثمرة كفاح شعبي يجبر المحتلين على إخلاء سبيل الأسد الرابض. أقصد أن جمعيات حقوق الإنسان والبرلمانات والأمم المتحدة لا كرامة لها عند أمثال شارون ونظامه الاحتلالي. أما أمثال مروان من القادة الشعبيين فيبقون في السجن إلى أن تخترق رؤوسهم جدرانهم. أليس هذا ما حدث مع مانديلا؟

أما أنتم يا من تقرؤون كلماتي عن مروان بمرارة: فرويدكم هذه الغيرة القاتلة. فالرجل منكم وإليكم. وقد فعل ما لم تفعلوا وحق له أن يصبح في مرتبة أعلى من مراتبكم أم أنكم ضد النبل نفسه؟!

لقطات

قرأت ذات مرة منذ حوالي عشرين سنة أن انخفاضا طرأ يوما على قيمة الدولار فترتب على ذلك خسارة بنمات الملايين للأرصدة العربية التي تقدر بالمليارات في بنوك أمريكا. وتذكرت ذلك في الأسبوع الماضي وأنا أقرأ تصريحات رجال أعمال سعوديين دعوا إلى سحب أكثر من ٧٥٠ مليار دولار من صناديق استثمار أمريكية، بعد أن ظهر الفساد والغش في أعمال أكبر الشركات الأمريكية، ما أدى حتى بالمستثمرين الأوروبيين إلى سحب ودائعهم، ويأتي هذا التوجه السعودي أيضا بعد أن رفع تكتل صهيوني مغرض أمام محكمة أمريكية دعوى باسم عائلات ضحايا أحداث ١١ أيلول يطالب شخصيات وهيئات سعودية (لها أرصدة في أمريكا) بتعويضات تبلغ قيمتها أكثر من تريليون دولار ، لأنهم على حد تعبير صحيفة الدعوى قاموا بتمويل ودعم أسامة بن لادن (مع علم الأمريكيين علم اليقين أنه لا يوجد في العالم من يكره بن لادن كما يكره هؤلاء الذين يريد أصحاب الادعاء أن ينهبوا أموالهم في بنوك الولايات المتحدة).

وكان بديهيًا للغاية أن يسحب العديد من المودعين السعوديين أموالهم من أمريكا ولكن العالم العربي مدعو لأكثر من هذا. إنه مدعو لأن تكون له سياسات استثمارية تخدم سياساته القومية. وعلى سبيل المثال: لماذا لا تستثمر الأموال بعد سحبها من أمريكا في مشاريع مشتركة مع الصين واليابان، على أن يجري توطيئ القسم الأكبر من هذه المشاريع في البلاد العربية؟ إلى متى نظل مأكولين مذمومين؟ إلى متى ينسج لنا الغرب القيود من شعر ذقوننا؟

[?] وبمناسبة الغرب: كلنا استحسن موقف شرودر الألماني الذي انتقد الهستيريا الأمريكية ضد العراق والنوايا المعلنة لشن الحرب على العراق. ولكننا لا ننسى في الوقت ذاته أن دوافع الأوروبيين بدورهم مصلحة وأن موقفهم يأتي في نطاق تناقض المصالح بين أمريكا والاتحاد الأوروبي. وهو تناقض كان الأوروبيون يسعون دائما إلى عقلنته وحله مع الأمريكيين بالنتاهم. ولكن الانقلاب الذي ينفذه جورج بوش في السياسات العالمية ويريد من ورائه في المرحلة الحالية إحكام السيطرة على نفط العراق (وحرمان الأوروبيين بالتالي من أية فرصة وأية حصة)، ويريد من ورائه لاحقا تهديد منابع النفط الإيرانية ليضمن - على الأقل - كف يد الغير عن نفط بحر قزوين وعن النفوذ والعلاقات الاقتصادية مع الجمهوريات الإسلامية جنوب روسيا (التي هرعت إسرائيل إليها لتلعب دورها في خدمة الاحتكارات الأمريكية - الصهيونية المشتركة). فالاحتكار الأمريكي يهدف فيما يهدف إلى قطع نصيب أوروبا وغيرها. والأوروبيون قلقون من تزايد الجشع الهائل الذي يرافق نشاط الأساطيل البحرية والجوية واستعراضات القوة في أفاق الشرق الأوسط. ولكنهم على كل حال لن يفلحوا في لجم هذا الجموح الأمريكي الصهيوني إلا إذا أقاموا حلفا وطيدا مع.. الصين..!

[?] عجلة الأكاذيب الصهيونية في الولايات المتحدة تدور دورانا متسارعا يوحي أن إسرائيل في عجلة من أمرها لتنفيذ جنائية من الجنائيات الكبرى التي تحتاج إلى إعداد المسرح جيدا لتسخير القوة الأمريكية الجبارة في خدمة المخططات الصهيونية. فقد روى لي أحد العرب الأمريكيين أنه استمع من إحدى محطات الراديو هناك بالصدفة إلى برنامج للأسئلة والأجوبة السياسية وكان المستمع يسأل مقدم البرنامج: ما المقصود بكلمة الإسلام التي تعني بلغتهم التسليم أي تسليم النفس؟ فيجيبه الثاني: " يعني أنه إذا لم يستسلم الإنسان لهم فإنهم يقتلونه (!) مثلما حدث لاثنتين من المبشرين المسيحيين في الفلبين إذ جرى قتلها لمجرد أنهما يؤمنان بالله (!) وأضاف مقدم البرنامج: " فإلى متى يبقى الناس نياما في هذه البلاد؟". وفي معرض الإجابة على سؤال ثان قال مقدم البرنامج: " سوف يصطاف السعودي الكبير (فلان) في إحدى المراتب بإسبانيا مع أسرته وحاشيته وسوف تقلهم طائرات ضخمة عديدة إلى الجزيرة ولذلك هرعت إلى هناك بيوتات

تجارية لبيع بضائع الرفاهية لهم. ويقدر أن مجموع النفقات التي سيبعثونها تصل إلى ثمانين مليون دولار! " ثم أضاف الناطق بالحقيقة الساطعة: " وهذا بالطبع من مال كل أمريكي يذهب إلى محطات الوقود ليملاً خزان سيارته " (!!!)

كما صب مقدم البرنامج هجوماً شديداً على الأوروبيين " الذين كان لنا . نحن الأمريكيين . الفضل في تحرير أوطانهم أيام الحرب العالمية الثانية، وهم مع ذلك يخذلوننا الآن حين نقول إننا ننوي أن نضرب العراق" (!!)

[?] أرأيتم إلى أي مدى انعقدت الصلات بين شارون وبوش؟ حتى إن الأول كان على وشك الذهاب لمناصرة شقيق الثاني المترشح لانتخابات محافظ الولاية! وكل شيء بحسابه طبعاً. ونحن الفلسطينيون والعرب من يسدد جميع الفواتير في نهاية الأمر. أما لماذا امتنع شارون عن إتمام تلك (الفرعة) لصالح صديقه العزيز فلأن اللوبي الصهيوني في أمريكا قال له: وما عسانا نفعل مع الديمقراطيين إذا قامت قائمتهم ذات يوم؟ وهكذا تراجع الجنرال أمام نصيحة العربيين.

